بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ المجلس (٠٠٨)

تتمة قراءة "ديانة قدماء الجزائر" من الباب الأول، ثم الشروع في "الباب الثاني في ذكر البربر"[١].

[٦ – ديانة قدماء الجزائر[٢]]

أثبت الباحثون على الآثار أن لهؤلاء القوم ديانة: والديانات أصلها الوحي. فلا بد أن تكون هذه الأمة أخذت أصول ديانتها عن رسول من الرسل[٣].

---

[١] إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فنواصل في قراءة الكتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث للعلامة مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا نزال في الباب الأول الذي ذكر فيه الأصل الأول الذي كان في هذه الأرض "قدماء الجزائر أهل العصر الحجري" وسبق الكلام على ذلك.

[٢] أي الديانة التي كانت في هذه الأرض.

[٣] وهذا الأمر من الحجج القاطعة، مجمل هذه الفكرة حجة قاطعة للرد على الذين يتسمون باللادينيين، أي من يتبرأ من الدين، منهم من ينكر وجود الخالق ﷻ والإله، ومنهم من يثبت وجود الإله لكن يرى أنه في غنية عن الدين، فمما يجابون به مجمل هذه الفكرة، فأهل التاريخ والباحثون في الآثار يجدون في المعمورات القديمة، وما كان يسكنها هؤلاء القدامى، تقريبا ما من معمورة إلا ويجدون فيها آثارا تدل على المعابد، وقد لا يجدون آثارا تدل على مجتمعاتهم، ونواديهم ومقاهيهم ونحو ذلك، أما آثار فيها إشارة إلى أنها أماكن للتعبد، والمعابد، هذا دليل على ضرورة الإنسان إلى الدين وإلى التدين.

وقد قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}[1] ثم دخلها التحريف والتبديل والغلو في تعظيم بعض المخلوقات حتى أمست وثنية[2]. ولا أظن أمة تنشأ على فطرتها تكون وثنية تعتقد النفع والإضرار الناشئين عن الاختيار في الشمس أو القمر أو أي مظهر آخر[3].

وإنما تخضع الأمم ذوات الفطر التي لا عهد لها بأي نزعة، للدين الصحيح[4]. فإذا ألفت الإذعان للدين وتمكن منها الإيمان بأشياء من المغيبات، ثم طرأ عليها الجهل- ظهر فيها من الدجاجلة من لهم

والرد على هؤلاء اللادينيين من أوجه كثيرة، وهذا وجه من هذه الأوجه، فهؤلاء قد وجدوا أن لهؤلاء القوم ديانة، قال (والديانة أصلها الوحي)، أصل الدين والتدين الوحي، لا يأتي الواحد بدين من عنده، والأصل في ذلك الوحي من الله تعالى.

[1] يعني لا توجد أمة إلا وقد أرسل الله فيها نذيرا من النذر كما قال تعالى {هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى}النجم٥٦، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}الأنبياء٢٥، وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}النحل٣٦

[2] يعني كان في هذه الأرض أصل التدين والدين والديانة، والدين وحي يكون من الوحي ولكن بطول الزمان قد يدخله التغيير، والتحريف، والتبديل، والغلو، وهذا أصل الانحراف في الدين، أصل الانحراف الغلو في الصالحين، فذلك ينتهي بالناس إلى التحريف والتبديل عياذا بالله تعالى، وهذا يجعلنا نهتم بأمر الدين، وأمر العلم ونحفظه حتى يبقى فينا وفي ذرياتنا.

[3] هذا بعيد أن يكون الإنسان بفطرته يعتقد أن القمر هو الذي يؤثر أو الشمس أو النار أو نحو ذلك، لأن الفطرة مجبولة على الاعتراف بالخالق ﷻ {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}الروم٣٠ كما قال ﷺ وفي الحديث (ما من مولود يولد إلا على الفطرة) [أخرجه البخاري (٦٥٩٩، ٦٦٠٠)، ومسلم(2658)]، وفي حديث آخر قدسي يقول ﷻ (إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين) [صحيح الجامع 2637] فالإنسان أول ما يولد يولد على الفطرة، والفطرة هي الاعتراف والإقرار بوجود الله ﷻ والقبول للدين، والقبول للإسلام، وإن كان لا تهتدي إلى تفاصيله، لأن التفاصيل لابد لها من وحي، لكن أصل الفطرة أن تعتقد وجود الخالق، وأن النفع والضر بيد الله ﷻ ولا تقتعد أن ذلك للشمس أو القمر ونحوها.

[4] إذا تُركت للفطرة فإنها تنزع أي تميل وتخضع للدين الصحيح.

أغراض شخصية يعملون لتحصيلها باسم الدين والدين هداية عامة لا آلة يستخدمها أصحاب الغايات الذميمة لبلوغ غاياتهم[1].

لا جرم اضطر كل دجال من البشر في أي عصر إلى تحريف الدين بالغلو أحيانا والابتداع تارة[2]. وإذ ذاك يغرس أشجار الوثنية في تربة الجهل الثرية[3]، تسقيها تلك الأمة الجاهلة بخيالاتها وأوهامها حتى تعظم وتنتشر فتحجب شمس الدين الصحيح وتغطي بدور العقول النيرة[4].

وفي ظلام هذه الاشجار الحالك[5] تعيش الأمة عيشة وثنية: لا هي من الانعام عديمة الشعور بغير حاجتها إلى ما يحفظ حياتها الأولى، ولا هي من البشر تحكم العقل وتتقاضى إليه فيما تأتيه من ضروب الاعمال. {أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}[6].

---

[1] فهذا مما قد يقع فيوجد من الناس من يستغل أمر الدين لتضليل الناس واستغلالهم واستخدامهم.

[2] يعني هذه الأمة وإن كان الأصل فيها وفي تدينها أنه يرجع إلى الوحي لكن بطول الزمان، قد ينتشر الجهل، وقد يغتنم ذلك بعضهم الفرصة فيستغل الناس ويضلهم، تارة بالغلو، فتح باب الغلو وهذا باب عظيم في الضلال، وهو أن يصير الإنسان يغلو في غيره، يقدسه تقديسا بحيث يعتقد فيه العصمة وأنه لا يناقش فيما يقول، فهذا الكلام غير منزل على الرسل والأنبياء بلا شك، فهذا باب عظيم من أبواب الضلال، والإضلال عياذا بالله تعالى الغلو في الصالحين، فيعبدون من دون الله.

والابتداع تارة {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ}الشورى٢١.

[3] إذا تمكن من الناس يغرس فيهم أمور التعظيم للمخلوقات، ويفتح عليهم أبواب الشرك والوثنية فتُعبد هذه من دون الله تعالى.

[4] وهذا ما وقع في أمم سابقة، ووقع حتى في هذه الامة، وإن كان لا يعمها ولكن يوجد في بعض أزمنتها، ولا يعم جميع الأرض وفي بعض أرضها كذلك.

[5] الشديد الظلمة.

[6] يعني إذا صارت الأمة إلى وثنية فتعبد المخلوقات من دون الخالق ﷻ فهي في هذا بين الأمرين عظيمين، بين كونها أنها تدعي بأن لها حاجة للدين، ولكنها تدين بغير الدين الصحيح.

أما الديانة التي عرفها الأثريون[1] لقدماء الجزائر فهي عبادة الشمس والقمر (وهما من معبودات المصريين)[2]، وعبادة بعض الحيوانات منها القرد والثور والكبش والتيس. وجد بجبل بني راشد تمثال يدعى "أتون" كانوا يتخذونه إلهاً وهو صورة تيس على رأسه دائرة الشمس.

وكانوا يعظمون العيون[3] والاشجار والجبال[4]، ويحترمون الأموات يشيدون لهم قبورا ضخمة[5].

---

[1] يعني أتباع الآثار.

[2] وهذا مما افتتن به طوائف من الناس، عبدوا الشمس والقمر من دون الله كما جاء في الآية في قصة سليمان ﷺ {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}النمل٢٦، {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}فصلت٣٧، وقال ﷺ (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما من يشاء من عباده، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولا لحياته، وإنما يوخوف الله من شاء من عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة) [أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم(901)] أو كما قال ﷺ.

[3] عيون الماء.

[4] وهذا لا يزال إلى الآن، لا تزال عيون وآبار وأشجار تعظّم وتعلّق عليها ويتقرب إليها، وجبال كذلك، لا تزال حتى في هذا البلد، وليس بعيدا، في نواحي هذه المدينة وغيرها.

[5] وهذا موجود، في المدخل وفي المخرج، هذا كله موجود.

وقد وقع شعبنا فيما يقرب من هذه الوثنية "والتاريخ يعيد نفسه" فمن آثار عبادتهم للشمس أن الولد حينما يثغر[1] وتسقط سنه يرمي بها إلى الشمس، ويقول لها في بعض الجهات الشمالية "أعطيتك فضة أعطني ذهب"[2] وفي بعض الجهات الجنوبية: "أعطيتك سن حمار أعطيني سن غزال"[3].

ومن تعظيمهم لبعض العيون أنهم يتبركون بمياهها ويستشفون بالشرب منها ويرجون منها النسل ويقربون لها القرابين الدجاجية[4].

ومن تعظيمهم لبعض الأشجار أنهم يجتنبون قطعها واحتطاب ما سقط من عيدانها ويعلقون بها الخيوط رجاء أن تقضي حاجاتهم، كما يعلق أحدنا بأصبعه خيطا كي يذكر به ما يخشى نسيانه[5].

ومن تعظيمهم للجبال تقديم النذر من الأطعمة والأنعام لبعض الكهوف وزيارتها زرافات ووحدانا. وتطييب رائحتها بالبخور ومياه الرياحين. وقد يتأولون ذلك بأن أحد الصلحاء مر بهذا الكهف أو

---

[1] أثغر أسقط السن.

[2] هذا موجود، وهذا من آثار عبودية الشمس عياذا بالله، هل الشمس هي التي تعطي؟ {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }فصلت٣٧، فهذا يطلب من الله، يدعى الله تبارك وتعالى.

[4] هذا أيضا من تعظيمهم، وليس المقصود هنا بعض الحمامات المعدنية التي ماؤها يكون فيه الكبريت أو أنواع من المعادن التي قد يكون فيها شفاء، هذا من الاستشفاء ولا إشكال فيه، وإنما المقصود التعظيم، بحيث يتقرب إليها ويظن فيها الشفاء، لا أنها سبب.

[5] أشجار موجودة، وتجد بها أشياء من الخِرق والقماش والحبال معلقة، بألوان مختلفة، والنبي ﷺ نهى عن هذا، وفي الحديث أنهم مروا على شجرة يقال لها ذات أنواط، كان المشركون يتبركون بهذه الشجرة، يعلقون عليها أسلحتهم فقال الصحابة للنبي ﷺ (يا رسولَ اللَّهِ اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لَهم ذاتُ أنواطٍ) فقال ﷺ (الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده، كما قال أصحاب موسى لموسى (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قال إنَّكم قومٌ تجهَلونَ)) [صحيح ابن حبان 6702] فكذلك هذا موجود عياذا بالله تعالى.

جلس عنده. وعلاوة على كون هذا التأويل غير مبرر لفعلهم فان الصلحاء جلسوا في غير الكهوف أيضا ومشوا في السهول والبسائط[1].

أما تشييد القبور الضخمة للأموات واتخاذ الحرم لها فقد بالغوا فيه أكثر مما تقدم وأربوا في ذلك عن كل أمة حتى صاروا يشيدون القباب لا على ضريح ولا على أثر من مواقع أقدام صلحائهم. وشرح هذا المقام يوسع دائرة خروجنا عن موضوع الكلام[2].

وكان قدماء الجزائر يعتقدون بحياة أخرى غير الحياة الأولى، ويرون أن الميت في قبره أكمل منهم علما.

يدل على ذلك ما تقدم من أن منهم من يضع الميت في قبره جالسا ملتصقا بطنه بفخذيه ولحاه بركبتيه، يمثلون بهذا الوضع هيئة الجنين في بطن أمه. كأنه بموته ولد في عالم آخر، ولذلك يضعون معه أطعمة وأشياء من الزينة. وإذا أهمهم أمر لم يهتدوا إلى وجهه استشاروا الموتى من أسلافهم:

ينام أحدهم على قبر سلفه وما رآه في منامه عمل بمقتضاه في يقظته وللجزائريين اليوم حظ وافر من هذه العقيدة المبنية على الانحطاط والتقهقر[3].

---

[1] أي أينما مشى الصالح علق شيئا، يقول بغض النظر عن هذا التأويل هل هو صحيح أو غير صحيح، تجدهم يقصدون كهوفا قال: لأنه مر منه الصالح الفلاني، ولماذا شيدتم مسجدا في هذا المكان؟ لأنه كانت هذه الشجرة يقعد بها سيدي فلان، هذا من التعظيم للآثار، آثار الصالحين، وهذا ينتهي بالناس إلى الشرك المبين، وكل من شارك في ذلك فله نصيب من الإثم والوزر عياذا بالله تعالى، لأنه داخل في التعاون على الإثم والعدوان.

قال رحمه الله أن فرضا أن الكهف مر منه صالح من الصلحاء، -طيب- والصلحاء مروا على الطرق والبسائط والسهول، والهضاب والطرقات، وسكنوا البيوت، فهل حيثما حلوا وارتحلوا نجعل شيئا؟ هذا غير صحيح، ثم الصحابة ف عايشوا النبي ﷺ فيعرفون المسجد الذي كان يصلي فيه، يعرفون محرابه، أي المكان الذي يصلي فيه، وأين كان يجلس، وأين كان ينفّل، وأين كان يتكئ، وفي حجرته، وفي البقيع أين ينزل، وفي المدينة أين كان يمشي، فهل اتخذوا مكانا من الأمكنة وشيدوا عليه أو فيه شيئا؟ لم يفعله الصحابة ف، فكيف يُفعل بغيره؟

[2] يعني هذا مقامه طويل، والكلام فيه مهم، وليس هذا بابه.

[3] هذا بعض ما كانت عليه الديانة في هذه الأرض في الزمن الأول القديم الذي يبعد علينا بآلاف أو قل بملايين السنين.

هذا الباب الثاني انتهى، وذكرنا في مجمله أول من وطأ هذه الأرض، وكان بها وهم جنس من قبل جنس البربر، ويسمونهم بالعصر الحجري وقد علقنا على ذلك، وذكر أصلهم وقدومهم إلى الشام، ونزولهم بهذه الأرض، ومنها كان الانطلاق إلى أوربا الجنوبية والغربية، وذكر بعض مآثرهم من المنازل والقبور، والآلات والمقتنيات والمسكن والملبس والمطعم، والمكسب، ومدنيتهم، ثم لغتهم وديانتهم.

[الباب الثاني في ذكر البربر]

[تمهيد]

البربر أمة من أقدم أمم العالم وأشهر أجياله. عاصرت العرب والفرس واليونان والروم[1]. معروفة بعز الجانب[2] وإباية الضيم[3] والدفاع عن الشرف[4].

وقد زاحمت الأمم ودافعت الملوك عدة آلاف من السنين. حاربت بني إسرائيل بالشام. وهاجرت إلى وطن أفريقية والمغرب فاستولت عليه في أعصار لا يعلم مبتداها إلا العليم الخبير[5]، واستوطنته بطونها وقبائلها[6]، وكانت ذات كثرة[7] ومنعة[8] فملأت وهاد المغرب ونجاده[9]، وأعفت[10] ذكر الأمة التي سبقتها إليه[11]، ثم كانت لها مواقف مع الدول العظمى ذات المطامع في وطنها[12]. هاجر الفينيقيون جيرانهم بالشام

---

[1] وهذه أربعة شعوب عريقة العرب والفرس واليونان والروم.

[2] القوة.

[3] تأبى الظلم ولا تقبله.

[4] هذه ثلاث خصائص لهذه الأمة البربر التي سكنت هذا البلد: عز الجانب قوة وشرف وعفة وأنفة، وإباية الضيم الذي هو الظلم، والدفاع عن الشرف.

[5] قال تعالى {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً }النساء١٦٤، يعني هناك رسل كثر لم يذكر قصصهم في كتاب الله ﷻ ومن ذلك الأمم، {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ }هود١٠٠، {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ}آل عمران٤٤، فأنباء القرى وأنباء الغيب كثيرة مما لم يقصه الله ﷻ علينا، فعلمها عنده ﷻ.

[6] البطن أوسع من القبائل.

[7] في العدد.

[8] في القوة.

[9] المهاد ما انخفض والنجاد ما علا وارتفع.

[10] أعفت الديار أي مسحتها وأزالتها.

[11] يعني مسحت وأزالت آثار الأمة التي كانت قبل البربر، أزالت البربر استغلالها وتواجدها وبسطها لنفوذها على هذه الأرض ذكر الأمة التي كانت قبلها.

[12] يعني كان يطمع في وطنها دول.

إلى وطن البربر ونزلوا عليهم ضيوفا كراما فاكرموهم. وعاشت الأمتان في وئام قرونا[١]، البربر يعضدون الفينيقيين في حروبهم خلف البحار، والفينيقيون يحترمون حرمة البربر- خصوصا بربر نوميديا- فلا يسومونهم بذل ولا ينالون من شرفهم ولا يمدون أيديهم إلى ما تحت تصرفهم. وقد وقعت بين الأمتين حروب إلا انها كانت في مباديها من قبيل الثورات التي لا تخلو منها الأمة الواحدة[٢]، وفي الأخير تمشت حيل أروبا بين البربر[٣] وانطلت عليهم دسائسها فعضدوا الرومان في حروب قرطاجنة طمعا في الاستقلال بحكم وطنهم واسترداد ما أخذته منهم قرطاجنة معلمتهم الحياة والنظام.

ولما انكشف لهم الحجاب عن مقاصد الرومان أخذوا يحاربونهم - والظفر حليفهم- ولم يجن الرومان من تعنتهم في محاربة البربر غير الاستيلاء على بعض المدن وما حولها من البسائط على طول المدة وكمال العدة.

ولم تزل هذه الأمة النشيطة الحربية- قبل الإسلام وبعده[٤]- تقف في وجوه الهاجمين وتثور على الظلمة المستبدين وتنهض للتخلص من وطأة الأجنبي على حريتها وإزاحة كابوس المستعمرين عن مقلتي حياتها[٥].

ملأت بذلك تاريخها منذ سطوع فجر التاريخ ولكن لم تكن الحروب[٦] بما نعتها عن مجاراة الأمم الاخرى في الحضارة والرقي والتخلق بالأخلاق الجليلة والخلال النبيلة، فقد عرف التاريخ لها حضارة

---

[١] سيأتي ذكر دخول الفينيقيين إلى البربر.

[٢] يعني شيء من المنازعات.

[٣] والتاريخ يعيد نفسه.

[٤] ولا تزال إن شاء الله.

[٥] المقلة هي العين، يقال العين، والمقلة، والمهجة، والحبيبة (من ابتليته بمهجتيه) وفي رواية (بحبيبتيه فصبر فله الجنة) أي بعينيه، ويقال المقلتين، أو المقلتان أيضا.

[٦] مع أنها كثرت فيها الحروب لم تمنعها من الرّقي.

عظمى ومدنية مثلى، وظهر منها علماء حكماء وعظماء خبراء في الدين والسياسة والعمران قبل الإسلام وبعده وسترى- إن شاء الله- في الصحائف التالية ما ينير أمامك حقيقة هذه الأمة العظيمة[1].

[1] فهي أمة عظيمة أصلها ممتع امتداد الزمان، خلاف ما يتنسل ويسبها به حتى من بني جلدتها ومن أبنائها وجنسها.

[١ - أصل البربر][1]

الحديث في أصل البربر من أكثر الأحاديث اضطرابا وأوسعها خلافا. بحث فيه المؤرخون قديما وحديثا وأطالوا البحث ولكن لم يحصلوا إلا على روايات متضاربة وآراء متناقضة.

ولهم في البحث طريقان: طريق المتقدمين من مؤرخي اليونان والرومان والعرب تعتمد على الرواية والنقل[2]، وطريق المتأخرين من مؤرخي الإفرنج تعتمد على الدراية والنظر إلى اللغة والخلقة والصناعة.

ونحن لا يسعنا أن نتتبع كل ما وقفنا عليه ولكننا نحرص على إفادة المطالع بأقرب طريق فنلخص أقوال الطائفتين ثم نتبعها بنظرة تؤيد ما كان من هاتيك الأقوال أقرب الى الصواب ونزيف ما كان منها خرافة أو خيالا.

أ = الطريقة الاولى[3]: انقسم اصحاب هذه الطريقة الى فرق:

١ - فرقة ترى أن البربر نشأوا بالمغرب وليسوا منقولين من وطن آخر. ومن هذه الفرقة أفلاطون من القدماء وفورنال **Fournal** من المتأخرين.

---

[1] ثم ذكر $ فصلا مطولا ناقش فيه نقاشا طويلا، يتكلم حول البربر، أصل البربر، من أين؟ هل هم أمة وجنس مستقل أو أنهم مجموعة أجناس اختلطت، واشتركت في أرض لا استقلال لها فهم تابعون لغيرهم؟ ذكر هذا المبحث وقال إن المؤرخين ساروا في ذلك على مسارين:
١= مسار اعتمد على النقل، يعني نظر إلى النقول التاريخية، وما نقله القدامى بعض عن بعض، لينتهي إلى أصل هذا الجنس.
٢= وطائفة أخرى اعتمدوا على آثار محسوسة كاللغة، وكآثار الصناعة لجعلوها مشابهة لأمة أخرى معروفة الجنس فتُلحق بها.
وكلا المسارين لهما أقوال في بيان أصل جنس البربر، فذكرهم وعاد بعد ذلك لبيان الصواب من الخطأ في نظره رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[2] يعني السماع، فالمؤرخ ينظر ماذا قال السابق، قال: سمع كذا، سمع كذا أن هذا الجنس من ولد كذا، فيعتمدون على الرواية التي هي السماع والعقل.

[3] من قال بالنقل. يعني كلٌّ يقول ما هو أصل البربر.

٢ - وفرقة تقول انهم إيجيون من سكان ضفاف بحر ايجه[١] Egée وهو بحر الأرخبيل. ومن هذه الفرقة هيرودوتس، ديودور الصقلي، بلوتارك.

٣ - وفرقة تقول أنهم ساميون[٢] أنساب العرب. ثم اختلفوا من بعد. فذكر بروكوبس- وهو من مؤرخي الدولة البيزنطية عاش في المائة السادسة للميلاد- أنهم من العبرانيين والبونيقيين، وروى الطبراني أنهم من نسل نقشان- أو نفسات- بن ابراهيم عليه السلام. وهي موافقة لقول بروكوس.

وروى أبو عمر بن عبد البر عن بعض نسابة البربر أنهم من ولد النعمان بن حمير ابن سبا. وإذن فهم عرب[٣].

وقيل انهم أوزاع من اليمن: قال المسعودي[٤] من غسان وغيرهم، وقال غيره من لخم وجذام.

وقيل من عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام. هذا ملخص أقوال الفرقة الثالثة[٥].

٤ - وفرقة تقول أنهم حاميون[٦]: قيل من مصراييم بن حام، وقيل من مازيغ بن كنعان بن حام.

٥ - وفرقة تقول أنهم من الفرس- وفارس قيل من سام وقيل من يافث- روى المؤرخ الروماني سالوستس Salluste عن كتب فينيقية: إن الميد والأرمن والفرس جاءوا إلى الأندلس في جملة جنود أحد ملوك اليونان فلما توفي ذلك الملك عبر هؤلاء الاقوام الى أفريقية الشمالية- وكانت عامرة بالجيتوليين والليبيين- واختلط الأرمن (وهم من يافث) بالليبيين وكذلك الميد (إخوان الفرس) فغيرت كلمة الميد بكلمة "المور" وتنقل الفرس في هذا الوطن فلقبوا أنفسهم "النوماد" ومعناه الرحّل. ثم

---

[١] قريب من جزيرة صقلية، وهي من أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط، وهي تابعة لإيطاليا.

[٢] نسبة إلى سام من ولد نوح ﷺ.

[٣] هناك من يقول أنهم عرب، في هذا العام بحث كتبه بعضهم وانتهى إلى أن أصل البربر ينتهون إلى العرب.

[٤] من المؤرخين، له كتاب في التاريخ، لكنه في نفسه مطعون فيه من حيث الرواية، وقد ملأ كتابه هذا بكثير من الروايات التي طعن فيها أهل العلم.

[٥] يعني الذين يرونهم أنهم من أنساب العرب.

[٦] يعني من ولد حام بن نوح.

استولوا على البلاد القريبة من قرطاجنة واستوطنوها فسميت "نوميديا" نسبة إليهم[1]. واندمج من كان قبلهم بهذه الناحية فيهم وامتزج بهم وسمي باسمهم. ومثل هذه الرواية رواية من روى أن البربر من ولد جالوت، فقد نسب ابن خلدون جالوت إلى فارس[2].

٦ – وفرقة تقول أنهم من الهند. منها استرابون من متقدمي المؤرخين.

٧ – وفرقة تقول انهم أخلاط من أصول: ففي بعض روايات الطبري انهم من العمالقة وهم ساميون ومن كنعان بن حام، وقال مالك بن المرحل: البربر من العمالقة وحمير ومضر وقريش (قبائل سامية) والقبط وكنعان (قبيلتان حاميتان باتفاق).

هذا ملخص أقوال اهل الطريقة الأولى وتركنا بعضا منها إيثارا للاختصار[3].

ب = الطريقة الثانية: وفي تبحث عن أصل البربر من طريق الخلقة واللغة والصناعة[4]:

١ – أما الخلقة فيوجد في كثير من البربر عرض الأكتاف وضيق الخصر وهذا الضرب قديم بإفريقية وموجود بالجزائر وتونس. وهذه الصفة معروفة بقدماء مصر والإسبان والباسك (قوم من السلتين يسكنون شمال الأندلس وجنوب فرنسا الغربي).

ويوجد فيهم الشقر بالجبال مثل جرجرة وأوراس بالجزائر والريف بالمغرب. ادعى بعضهم أن أصحاب هذه الصفة من بقايا الرومان والفندال ولكن غسال يقول: إنه لم يبق من هاتين الأمتين عدد يمكن أن يؤثر في البربر بل الظاهر انهم بالمغرب من قديم. وقال مرسى ايضا انهم سكنوا هذا الوطن قديما، ثم قال ولهم مشابهات كثيرة- خلقا وخلقا- بأمم أوروبية[5].

---

[1] يعني الجانب الشرقي هذا.

[2] قيل أنهم فرّوا بعد خسارتهم في المعركة مع طالوت وداود.

[3] يعني يعتمدون على النقل.

[4] يعني ينظرون إلى صفاتهم الخلقية، أي جنس يشابهونه ينسب إليه، وكذلك من اللغات، والصناعة والآثار.

[5] يعني يريد أن يلحقها بالأمة الأوربية.

ومنهم أقوام سمر اللون قصار القامة سخنوا الطبع. قال غسال: وهذه الصفات توجد في سكان الأندلس وإيطاليا وجنوب فرنسا وجزيرتي الكورس وسردانيا.

٢ - أما الصناعة فمنها أوان طينية تصنع بوطن القبائل وينفش عليها تماثيل، قال غسال: وقد عثر على نظيرها في قبور مصرية يرجع تاريخها إلى نحو أربعة أو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد. قال بيروني ويوجد نظيرها أيضا بجزر صقلية ومالطة. ومنها تماثيل للحيوانات تصنع بالجزائر ومراكش والصحراء. قال غسال: ويوجد نظيرها قديما بمصر والنوبة. ومنها بناءات للمعابد. قال بيروني: ولها شبه ببناءات معابد أوروبا الغربية.

٣ - وأما اللغة فانه لا مشابهة بين لغات البربر واللغات السامية نحوا وتصريفا، ولها مشابهة من حيث التركيب بلغة قدماء مصر والنوبة والحبشة والصومال والهوصا، وفيها ألفاظ أوروبية وهندية.

وقد اعتنى رين بالبحث فيما بين لغة البربر وبقية اللغات من المشابهات اعتناء لم يشارك فيه غيره[1].

وصدر بحثه في أصل البربر بقوله: "ومن الأدلة للبحث عن أصل أمة لغتها" ثم أخذ يذكر ألفاظا بربرية ويناظر بينها وبين سائر اللغات خصوصا لغات أروبا والهند[2]، مثل لغة السكسونيين (الألمان والإنكليز) ولغة السكندينافيين أهل شمال أروبا (السويد والنروج) ولغة الاترسك (قدماء إيطاليا) قال وتوجد قبائل من قدماء إيطاليا مسماة بأسماء قبائل بربرية. ومعاني تلك الأعلام متعددة عند الفريقين وذكر أيضا قبائل أوربية من امتي الغوط والسكيت (ويقال ايضا السكلوت) اعلامها متحدة بأعلام قبائل بربرية. ثم سرد تلك القبائل بأسمائها عند الفريقين.

وخلاصة بحث رين: أن أكثر البربر هنديون وأوروبيون أصلا ولغة، وليس في الوطن البربري من الأصل السامي إلا قليل، حتى أن بني هلال الذين جاءوا في العصر الإسلامي أكثرهم طورانيون وآريون[3]!!

---

[1] ولكن كما سيأتي بعده أنه جاوز الحد في دعوى أنها متشابهة.

[2] كي يلصقها بأوروبا.

[3] هذا رين المؤرخ يدعي! وبنو هلال عرب قح، فهذه مجاوزة حد في البحث، وعدم الخضوع إلى المقاييس العلمية.

وملخص أبحاث هذه الطائفة أن البربر ليسوا أمة مستقلة وإنما هي مزيج من أمم شرقية وأوربية وحد بينها الوطن[١].

ج = نظرة فيما تقدم من الروايات والابحاث[٢].

قد علمت أن أبحاث المتأخرين تعتمد على الصفات والصنائع واللغة وليس شيء من ذلك بمفيد في معرفة أصالة أمة لأخرى أو تفرعها عنها وذلك أن للامكنة دخلا في الصفات. فالاقوام الذين يسكنون اماكن متحدة في الطبيعة يتحدون او يتقاربون في الصفات وان اختلفت اصولهم وقد أشار بيروني الى هذه الحقيقة بقوله: "ان مسألة الاوصاف لم تفدنا في أصول البربر شيئا[٣]".

والصنائع أضعف من الصفات[٤] في ذلك لأنها مما يسهل تعلمه وتنقله خصوصا بين الأمم المتجاورة التي كانت بينها علاقات.

وقد أثبت التاريخ ان سكان ضفاف البحر الرومي شمالا وجنوبا تعارفوا ودخل بعضهم تراب بعض: فقد كان الجند الفينيقي مركبا من عدة أجناس كانت حوالي هذا البحر وكذلك من جاء بعد الفينيقيين من الدول، وقد أقام الجند النوميدي مع رئيسه حنبعل سنين بجنوب أوروبا.

---

[١] حتى تعرف أن التاريخ أمر خطير وليس سهلا، لأنه تشوبه العصا السياسية، فإذا سُيّس التاريخ اتُّبع، فهم الآن يريدون أن يجعلوا البربر أصلهم أوروبي، يعني أنه تابع لأوروبا، فهذا مما يسهل عليهم عياذا بالله إدخال الأفكار المنحرفة

[٢] هنا الآن يناقش ويفند كل قول ويرد عليه.

[٣] هنا نسف الطريقة الثانية، يعني كون الصفات والصنائع واللغة ليس أصلا قويا في دعوى أن هذه الأمة جنس لآخر، أو فرع عن أخرى. نعم اللغة قد تفيد لكن لابد أن يكون في تركيبها وصرفها ونحوها كما سيأتي.

[٤] لا يعني أنها تصنع مثل صنائعهم يلزم أنها تابعة لهم وأنها فرع عن أمة أخرى.

واللغات إنما تعتبر المشابهات بينها إذا كانت من حيث التراكيب لا من حيث وجود بعض المفردات فيها[1]- خصوصا إذا احتيج في تقرير المشابهة إلى تغيير بعض الحروف أو حذفها وقد ذكر بيروني انه- وجد مشابهات بعيدة بين اللغة البربرية ولغات قدماء مصر والنوبة والحبشة والصومال والهوصا، وقال: "وهي ترجع إلى أصل حامي" ريد ان المشابهة بين هذه اللغات كالمشابهة بين اللغات السامية من عربية وفينيقية وعبرية، ولم يعتبر بيروني مشابهة اللغة البربرية للغات الأوربية وذلك لأنها مشابهة في بعض الألفاظ. قال: "واللغة ايضا لا يمكن الاعتماد عليها في أصالة أمة لأخرى".

ولم أر من اعتمد اللغة أصلا للبحث في جنس البربر مثل رين Rinn وقد بالغ في البحث والتنقيب مبالغة لا تجديه في الغرض الذي يقصد اليه شيئا ولكنها تدل على سعة اطلاعه على اللغات، وقوة جراءته على الأنساب[2]. ناهيك أنه لم يبال بوضوح أصل العرب وصراحة نسبها فجعل الهلاليين- على نصوع[3] نسبهم العربي كسائر القبائل العربية- طورانيين وآريين. أي ثقة تبقى في كلام رين بعد إقدامه على العبث بنسب قبيلة من أصرح القبائل الحربية نسبا؟ وهل تثق النفس بما يبديه من المشابهات بين الألفاظ المختلفة الأصول؟ أما العربية- ولا أعرف غيرها- فقد رأيته عبث بكثير من معاني الألفاظ التي أوردها منها[4].

لم يكتف رين بالمقارنة بين الفاظ البربر والأمم المجاورة لها على ضفاف البحر الرومي حتى طار إلى روسيا وأتانا منها بمفردات اتعب نفسه في تقريبها من مفردات بربرية[5]!

---

[1] اللغة لها أثر ودلالة على كون هذه الأمة وهذا الجنس متفرع عن تلك الأمة، أو هذه الأمة أصل لأمة أخرى، إذا كانت اللغة من حيث التركيب يتوافق معها، لا من حيث بعض الألفاظ والمفردات.

[2] وهذا نوع إنصاف من العلامة مبارك رَحِمَهُ اللهُ فهذه الجهود من هذا الرجل رين في اللغة ما نفعته في بحثه ليرجع البربر إلى أصل الأمم الأوربية، ولكن يعترف له بأنه واسع الاطلاع في اللغات، وجريء على الأحكام.

[3] الوضوح والإلماع والبيان.

[4] هذا من غير سيره على المقاييس العلمية.

[5] من الصين والهند وغيرها.

أي أمة تستطيع أن تحصن وحدتها الجنسية للنجاة من تكلفات هذا الكاتب وفلسفته اللفظية؟ إذا لم تستطع قبيلة الهلاليين ذلك فليس لأي قبيلة ولا شعب آخر طمع في النجاة من تفرقة هذه الفلسفة المتمحلة[1].

لو كان لي شيء من جرأة هذا الكاتب لاتهمته بأنه لم يكتب ما كتب بقلم علمي وإنما كتبه بقلم سياسي: يريد أن يمزق الجنس البربري كل ممزق ويفرقه شذر مذر ويوزعه على أمم أوربية -بالخصوص- كي تذهب وحدته ويسهل على البلعوم الأوربي ابتلاعه[2].

---

[1] بعداً عن الأسس العلمية، والبحثية.

[2] رحمه الله تعالى، يعني مثل هذا الرجل يقال فيه أنه كان يقبل الاندماجية؟ دعاة الإدماج في وقت فرنسا المكسورة كانت فرقة تدعي وتنادي بالإدماج، أي إدماج الجزائري في الفرنسي، وليس الفرنسي في الجزائري لأ فرنسا هي التي أتت عندنا، فينادون بإدماج الجزائريين في الفرنسيين، الجزائر فرنسية، والجزائري فرنسي ونحو ذلك، ولا تزال هذه التهمة!، يقولون إن جمعية العلماء المسلمين كانت تنادي بذلك وتقول به، إنما الذي قالوه هو أن يكون للفرد الجزائري الحق كما للفرنسي، الفرنسي هو الذي دخل إلى بلدنا فكيف له الحق في أن يتعلم ويقرأ ويعمل ويأخذ ويأخذ .. وصاحب البلد، صاحب الأرض ليس له الحق؟!

كان قلّ من يتعلم من أبناء هذا الوطن، ومن يفسح له لمجال، فالذي دعوا إليه هو هذا، وإن كانوا يمنعونهم، ولهذا اضطرت جمعية العلماء إلى أن يدرسوا بيوم الجمعة قبل الجمعة، يوم الجمعة عندنا الخطبتان فقط، المشروع الخطبتان، كان النبي ﷺ إذا رقى المنبر قام بلال فأذّن، وخطب في الناس الخطبتين، لا يوجد هذا الدرس، لكن فرنسا المكسورة كانت تمنع علماء البلاد من التدريس، يوم الجمعة يغتنمون الفرصة، فهو يوم جمع ولا يمكن لهذه الطغمة الكافرة أن تمنعهم من جمعتهم، فكانوا يستغلون الوقت فيدرسون قبل الجمعة ويعلمون الناس دينهم وكذلك يخطبون بعد ذلك، وإلا فالأصل أنه لا يكون التدريس قبل الجمعة، وفي الحديث أن النبي ﷺ نهى عن التحلق قبل الجمعة، لماذا لأن الجمعة خاصة للخطبتين، يأتي الإنسان ليستمع للخطبتين ويستفيد منها، فاغتنموا هذه الفرصة وصاروا يدرسون، الحاصل أن المقصود كانوا يدعون إلى أن يستوفي الجزائري حقوقه، وهو ابن البلد وصاحب الوطن فكيف لا يعطى كل الحقوق، والأجنبي الغريب عن البلد ينعم بكل الحقوق بل وأزيد، فهل يقال في هذا إدماجي واندماجي.

قال (**كي تذهب وحدته ويسهل على البلعوم الأوربي ابتلاعه**) فهو يعلم من قديم ما تريده أوروبا أن تبتلع هذا البلد وهذا الوطن، به وبجنسه وشعوبه.

وتلك أمنية يحلم بها بعض مرضى العقول من السياسيين ولكن لن يلج الجنس البربري في جنس آخر حتى يلج الجمل في سم الخياط[1]. وههنا أودع طائفة الاعتماد على الأبحاث التي لا نتيجة لها غير الشكوك والأوهام، وأرجع إلى تمحيص تلك الروايات لاستخراج ما تطمئن إليه النفس منها[2].

١ - أما القائلون بأصالة البربر في إفريقية وعدم انتقالهم إليه من وطن آخر فظاهر انهم لم يذهبوا هذا المذهب إلا لكونهم لم يعرفوا للبربر وطنا قبل هذا الوطن. ولكن من المعلوم أن آسيا هي مهد الأصول الأولى للبشر، وأنهم لما كثروا وضاق بهم وطنهم الأول أخذوا يتوسعون فيما حولهم من الاوطان ويكتشفونها وطنا بعد آخر.

فهذا غير صحيح ولا معقول[3] إلا أن يكون أصحابه لا يعترفون بأبوة آدم للبشر ولا باستقلال نوعهم وإنما هم منحدرون أو صاعدون من سلالة القرود مثلا. وهو رأي أفن أو حلم طائش لا يعقل الأخذ به بدلا مما تواتر في التواريخ القديمة أن الوطن الأصلي للبشر هو بعض جهات آسيا، أو إيثارا له عما جاء في الكتاب الحكيم ان البشر من آدم[4].

---

[1] ولن يلج.

[2] إذن الفرقة الثانية التي اعتمدت على الدراية، وعلى اللغة والصناعة والخلقة انتهى الكلام عنها، وليس فيما ادّعته ما يمتّ إلى الصحة في شيء، بقي الكلام على أصحاب النقل.

[3] يعني ما ادعاه أصحاب القول الأول من أصحاب النقل والرواية أن البربر أصل من هذا البلد، هذا غير صحيح وغير معقول.

[4] كلام غاية في البيان رحمه الله رحمة واسعة، إذن لا نعارض هذا الأصل، الأصل آدم هو أبو البشر، وأن أكثر الروايات على أن بداية الحياة كانت في جهة المشرق، وفي جهة آسيا، وهذا ما تواتر في التواريخ القديمة، أن الوطن الأصلي للبشر هي بعض جهات آسيا، وإن كان اختلف العلماء أين أنزل آدم؟ بأي أرض؟ قيل بالمشرق، قيل بمكة، وقيل بالشام أرض الأنبياء، وقيل بالهند. وليس بالجزائر هذا معروف -ابتسامة-

٢ - وأما القائلون بأن البربر هنديون فهم أبعد عن الصواب من الأولين إذ البربر معروفون بأفريقية من قبل التاريخ- كما ذكره غير واحد من المؤرخين- فكيف يكونون منقولين من الهند؟ واي طريق سلكوها من الهند إلى إفريقية[١]؟

إن قالوا طريق البحر قلنا إنها لطولها وعظمة البحر في بعضها يتوقف سلوكها على بسطة في علمي الجغرافية والنجوم[٢] ومعرفة مهاب الرياح وتقدم في صناعة المراكب البحرية. وكل ذلك مفقود في ذلك العصر السحيق.

وإن قالوا طريق البر قلنا إن سلوكها يتوقف على جيوش جرارة وأسلحة ممتازة ليتمكنوا من مغالبة الأمم التي يمرون بها، ثم لا يصلون إلى إفريقية إلا بعد سنين طوال مملوءة من الحروب والأهوال. وذلك مما تتوفر الدواعي لنقله وانتشاره ثم تدوينه في الكتب. ولم تحو كتب التاريخ شيئا عن هذه الرحلة الشعبية التي لا تتيسر حتى اليوم[٣].

٣ - أما القائلون بأن البربر إيجيون فإنما نسبوهم إلى وطن ولم ينسبوهم إلى أصل بشري[٤]. ثم إنه وطن ضيق والبربر أمة من أوفر الأمم عددا. على أن أفلاطون اليوناني ادعى- كما سبق- أنهم أصليون بوطنهم فلو كانوا منقولين من جهات بحر هيجاي لما خفي ذلك عليه. وأهل مكة أدرى بشعابها.

ويصعب على النفس تكذيب هذه الطائفة بتاتا فالذي يظهر أن عرقا إيجيا موجود بوطن البربر، وهو الذي أوقعهم في تلك الشبهة. ولكن البربر أقدم في هذا الوطن من الإيجيين وأكثر عددا وأعز نفرا.

٤ - وأما القائلون بان البربر ساميون قد علمت اختلاف رواياتهم وقد رد ابن خلدون رواية الطبري أنهم من ولد ابراهيم عليه السلام بما محصله: أن البر كانت لهم من الكثرة في زمن داوود عليه السلام

---

[١] من أين؟ من البحار! يعجزون عن ذلك، لأنه لابد من تقدم في صنع السفن، وأما البر فيعجزون عن ذلك لما أمامهم من المعيقات.

[٢] أن يأتي من الهند إلى هنا عن طريق البحر لابد من سعة في علم الجغرافيا وعلم النجوم.

[٣] يعني نفى نسبة البربر إلى أرض الهند باستدلال منطقي عقلي واضح.

[٤] ونحن نبحث عن الأصل.

ما يبعد كونهم من نسل ابراهيم لعدم طول المدة بين إبراهيم وداوود طولا يتشعب معه البربر ذلك التشعب[1].

ورواية بروكوبس بمعنى رواية الطبري وقد علمت ما فيها، ولو قال هؤلاء بأنه يوجد بين البربر عرق عبري لكان صحيحا فقد أثبت الباحثون وحققوا وجود طائفة من اليهود بين البربر من قديم، حتى أنهم لقدمهم لا يعرفهم قدماء مؤرخي الإسرائيليين. ومعابدهم مخالفة تماما لمعابد سائر اليهود. وللعلامة شلوش اليهودي في هذا الموضوع كلام في غاية التحقيق.

والفينيقيون معلوم أنهم طارئون على البربر وليسوا مجتمعين معهم في الأصل قصعا. وأنكر ابن خلدون أيضا القول بأنهم من ولد جالوت أو عملاق وقال فيه، "قول ساقط يكاد يكون من "أحاديث خرافة". ورواية ابن عبد البر عن بعض نسابة البربر أنكرها هو نفسه، وأنكرها ابن حزم أيضا وعمم- ابن حزم- في الإنكار إذ لم يقبل كونهم من اليمن قائلا: "وهذا كله باطل لا شك فيه" وقال ابن خلدون "إنه منكر من القول" ولكنه نقل عن المحققين من نسابة العرب مثل الطبري والسهيلي: أن قبيلتي كتامة وصنهاجة من حمير تركهما أفريقش بالمغرب لما قفل من غزوه. قال السلاوي: "وهو قول جميع النسابين من العرب"[2].

٥ – وأما القائلون أنهم من الفرس فقد فسرت قولهم رواية سلوستس: أن ليبية (أفريقية) كانت عامرة بالبربر، وأن الفرس إنما نزلوا في جوارهم بعد وفاة ملكهم اليوناني[3].

وعليه فلا تصح دعوى أن الفرس أصل للبربر، ولا إنكار وجود الفرس بأفريقية إذ لا منافاة بين الأمرين.

---

[1] رد كون القول الرابع من أقوال أهل النقل أنهم حاميون من مازيغ بن كنعان بن حام. قال: يبعد أن يكونوا من نسل إبراهيم ﷺ.

[2] قالوا صنهاجة من قبائل البربر كما سيأتي ذكرهم لاحقا.

[3] فكون الفرس جاوروهم وليست أمة البربر منهم. هم موجودون جاوروهم ولكن ليس هم تداخل في الأصل.

٦ - وأما القول بأنهم أخلاط من أصول فقول فاسد التعبير. وصواب الحديث أن يقال: أن الوطن البربري فيه أصول غير بربرية. وهذا مسلم لكن غير مفيد في معرفة أصل البربر.

٧ - وأما القول بأنهم حاميون من مصراييم فغير صحيح أيضا ولكنا لا ننكر وجود عرق منهم في الوطن البربري.

والصحيح من هذه الروايات كلها انهم حاميون من مازيغ بن كنعان ابن حام. هذا الذي صححه ابن خلدون قائلا: "والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم انهم من ولد كنعان بن حام بن نوح ... وأن اسم أبيهم مازيغ".

واعتمد كاريت رأي ابن خلدون: أن البربر أمة مستقلة منذ أجيال عديدة. وقال الجنرال دوماس: "إن لنا أدلة كثيرة على أن البربر من كنعان. نكتفي منها بدليل واحد: أحد اعقاب حام يدعى مازيغ، وإلى يومنا هذا يسمى البربر أنفسهم أمازيغ. ألا يكون هذا التواطء بين الأعلام مفتاحا لأصل البربر؟ ".

- خلاصة البحث:

يمكننا أن نستصفي من تلك الروايات ونستنتج من هاتيك الأبحاث النقط الآتية:

١ - الجنس البربري جنس مستقل في أصله يرجع إلى مازيغ بن كنعان ابن حام. انتقل من الشام إلى أفريقية في أزمان قديمة جدا فصح أن ينسب هذا الوطن لهم.

٢ - وقعت مهاجرات إلى هذا الوطن في أوقات مختلفة من أمم متعددة منها أبناء مصراييم بن حام. قال دوماس: جاءوا مع البر واجتازوا إلى أفريقية وتسموا "مور" ومعنى ذلك مغاربة. وتقدم عن سلوستس خلاف ما يقول دوماس في كلمة "مور".

ومنها قبائل فلسطينية فرت أمام يوشع. ذكر ذلك دوماس وفي ابن خلدون ما يؤيده.

ومنها الفينيقيون (وهم ساميون)[1] وقد جاوروا البربر قرونا عديدة فقد أسسوا عوتيقة عاصمتهم الأولى سنة ١١٠١ ق- م.

ومنها عرب يمنيون جاؤوا مع إفريقش. ومنها قوم إيجيون ومنها قوم من الفرس. ومنها العبريون على ما حققه شلوش **Schlousch.**

كل هذا تظافرت عليه أقوال جماهير من المؤرخين. وليس في العقل ما ينافي هذا النقل[2].

٣ - البربر أخذوا حظا من لغات هذه الأمم وطبائعهم ولكن بعد صبغها صبغة بربرية. قال مرسي: البربر تأثروا بعدة أمم نزلت بوطنهم أو استولت عليهم ولكنهم بقوا بربرا. وقال بيروني: إن الوطن البربري جمع أمما مختلفة ولكنها أصطبغت جميعا بصبغة بربرية.

وإذن لا نقول في سكان أفريقية غير أنهم أمة بربرية إذ لا يمكن تمييز ما عدا البربر عنهم لغلبة البربرية على غيرها. وهذا لا يخدش في أصل البربر شيئا بل إنه يرشد تمسك البربر بجنسيتهم ولذلك لم يندمجوا في غيرهم، وإلى كثرتهم ووفور عددهم ولذلك ابتلعوا الجنسيات التي حلت بوطنهم.

وهكذا أصبحت الأمة البربرية بنجوة من وصمة التهاون بجنسها وحازت الشرف على الأمم التي ابتلعتها، فان أمة لا تندمج في غيرها إلا وقد سجلت على نفسها الوضيعة والحطيطة ونفت عنها كل وجه من وجوه الكرم والفضيلة، وكتبت للأمة المندمجة فيها أسطرا من الفخر والشرف والميزة عليها لا يمحوها إلا تداركها بنفسها لجمع شتات قوميتها والعمل باسم أمتها[3].

---

[1] هؤلاء نزلوا هذه الأرض، وليس المقصود أنهم أصل البربر.

[2] يعني كونها أمة لها أصالتها وهذه الأمم جاورتها.

[3] فحاصل ذلك كما ذكرنا أنها أمة مستقلة وأصل في جنسها، نكتفي بهذا والله تعالى أعلم.